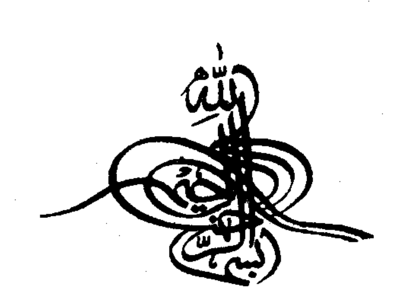
Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 20:1 (1985



أقدم آثار تدوين الحديث كتابة

د. محمد حميدالله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ، وبعد ، فالحديث هو مايتعلق بحياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأيامه . ولاشک أن أقدم الحديث المدون بهذا المعنى العام هو ماورد فى كتب السلف من الأنبياء مبشرا بمجيئ خاتم الأنبياء ، ولسناهنا بصدده ولذلک نكتفى بالاشارة الى أن أقدم ما وصل الينا من كتب الأنبياء السابقين هو كتاب أنوخ (وهو ادريس) عليه السلام ، وهو فى الجيل السابع من آدم عليه السلام ، وعثروا على كتابه فى مخطوطات البحر الميت وترجموه الى الانكليزية ، وفيه بشارة آخر المرسلين وكذلک ذكره موجود ليس فقط فى تواره موسى ، وزبور داؤد ، وانجيل عيسى عليهم السلام ، بل أيضا فى آويستا لزردشت ، وفى كتب برانا ووبدا لأهل الهند ويدعون أنها من الكتب الملهمة .

ومن عجائب حكمة الله أن أول وحى أوحى الى النبى الأمى عليه السلام هو الأمر بالقراءة ، قراءة الشيئ المكتوب . وليس معنى كلمة « اقرأ » بلّغ ، كما ظن بعض المستشرقين . (واستدل بمحاورة « هو يقرئک السلام » فان هناک مصدر « إقراء » بينما القرآن الكريم (سورة ٩٦) يستعمل مصدر « قرأ ») .

ذكر البلاذرى (١) أن أول من خط بقلم ودرس الكتب هو ادريس عليه السلام الآنف ذكره . ومن الظاهر أن الكتابات فى الصخور والحجارة شئ قديم و شائع فى جميع العالم حتى فى العرب قبل الاسلام . وكان من أهل مكة من يكتب . فكان من الممكن وجود كتابات فى مكة ، والطائف وحتى فى الحبشة على أيدى الصحابة الذين لجأوا اليها وأن يوجد فيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم يوجد الى الآن شئ مثل ذلك .

كتابات العصر النبوى صلى الله عليه وسلم :

ان أقدم الكتابات من العصر النبوى التى عثروا عليها الى الآن هى فى المدينة المنورة ، على جبل سلع فى شمال غرب المسجد النبوى وكان معسكر المسلمين زمن غزوة الخندق من السنة الخامسة للهجرة ، وجدت هناك كتابتين ، ليس عليهما تاريخ ولا اسم الكاتب والاستنباط استنباطى ، ويجوز أن لاتقبلوه ، فالأولى منهما ، وكأنها بخط سيدنا عمر رضى الله عنه .

أمسى وأصبح عمر
وأبوبكر يتوبان (؟ يتضرعان ، يعوذان)
الى الله من كل مايكره .

والثانية مجموعة كتابتين ، وفى الكبيرة منهما أسماء :

أنا عمارة
بن حزم أنها
ميمون ......
أنا محمد بن
عبد الله أنا .....

الى غير ذلک . کأن عمارة بن حـزم رضى الله عنه بدأ ، ولما مربهم رسـول الله قال لهم أكتبـوا اسـمى أيضـا . نشـرت هـذه الكتابات فى سنة ١٩٣٩ م قبيل الحـرب (٢)

رسائل النبى عليه السلام

ذكر المـؤرخون ، وخاصة ابن سعـد ، مئات الرسائل للنبى عليه السـلام ، وأول من اشتغل بجمعها هو عمـرو بن حزم رضى الله عنه ، أخـو عمارة بن حـزم الآنف ذكره فى كتابة جبل سلـع ، ثم تلاه أخرون فى كل عصـر ، وفى تأليفى المتواضع «الوثائق السياسية للعهد النبوى» أكثر من ثلاثمائة رسائل تتعلق بالعصـر النبوى يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام : مايتعلق بما قبل الهجرة ، وما يتعلق بأثناء سفـر الهجـرة وما يتعلق بما بعد الهجـرة الى المدينة المنـورة .

وثائق ماقبل الهجـرة :

١ ـ وأقـدمها فى رأيى كتابه صلى الله عليه وسلم مع جعفر الطيار الى النجاشى ملک الحبشة ، نقرؤ فيه :

« وقـد بعثت اليک ابن عمـى جعفرا ونفرا معه من المسلمين . فاذا جاءک فأقـره .... » .

ذكر هذا النص مؤرخنا الكبير أبو جعفر الطبرى فى تاريخه ، فى أحوال السنة السابعة ، ولكنه سهو من راويه وتلفيق بين رسالتين للنبى عليه السـلام الى نجاشى الحبشة ، لأن المهاجرين المكيين كانوا فى الحبشة منذ السنة الثامنة قبل الهجـرة ، وبعد ١٥ سنة كانوا على وشک الرجوع من الحبشة الى دارالاسـلام ، الى المدينة المنورة ، فلايقال انه صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشى فى ذلک الوقت

« فاذا جاءک فأقره » . والظاهر أن النبی علیه السلام أعطی هذا المکتوب لجعفر بن أبی طالب عند ذهابه مهاجرا الی الحبشة وکأن النبی علیه السلام یعرف النجاشی شخصیا (لأنه قبل أن یصیر ملک الحبشة کان یسکن کعبد لبعض العرب فی بدر (٣) وبدر ممر قوافل قریش الی الشام ایابا وذهابا .) ، فکتب الیه معرفا بابن عمه ومشفعا له ولسائر المهاجرین الذین لجأوا الی أکسوم ، عاصمة الحبشة ، الی ملک « لایظلم عنده أحد وهی أرض صدق » ، کما أکد صلی الله علیه وسلم (٤) . ثم ان أصل المکتوب الشریف عثر علیه وفیه جمیع نص ماروی الطبری سوی هذه الجملة « وقد بعثت الیک ....» الی آخره . ولذلک أظن وجود رسالتین الی النجاشی ، الأولی مع مهاجری الحبشة ، والثانیة لتبلیغ الدین بعد زمن .

ظ ـ اقطاع لتمیم الداری رضی الله عنه . ذکر الامام مسلم فی صحیحه قصة طویلة لأسفار تمیم البحریه ولکن لانعرف بالضبط تاریخ قدومه الی رسول الله صلی الله علیه وسلم ، الا أن مصادرنا (أبا عبید ، والقسطلانی ، والمقریزی ، والحلبی ، وآخرین) أکدوا أنه وفد علیه صلی الله علیه وسلم مرتین ، مرة قبل الهجرة ومرة بعدها . وفی المرة الأولی سأل رسول الله صلی الله علیه وسلم أرضا ، فدعا بقطعة من أدم وکتب کتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحیم . هذا کتاب ذکر فیه ماوهب محمد رسول الله للداریین : اذا أعطاه الله الأرض وهب لهم بیت عینون ، وحبرون ، والمرطوم ، وبیت ابراهیم ، ومن فیهم الی الأبد . شهد عباس بن عبدالمطلب ، وخزیمة بن قیس ، وشرحبیل بن حسنة

وكتب » .

٣ ـ وفى الوثائق مما قبل الهجرة ، الصحيفة التى كتبتها قريش وعلقوها فى داخل الكعبة . وعاهدوا مقاطعة رهط النبى عليه السلام . واللفظ عند البلاذرى :

»باسمك اللهم . على بنى هاشم وبنى المطلب أن لايناكحوهم ولا ينكحوا فيهم ، ولايبايعوهم ، ولايخالطوهم فى شئ ولا يكلموهم » .

٤ ـ ومن هذا الزمن قبل الهجرة ، ولكن بعد وفاة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، لما انصرف أهل العقبة الثانية من الأنصار ، روى ابن سعد أنهم كتبوا اليه صلى الله عليه وسلم » ابعث الينا رجلا يفقهنا فى الدين ويقرؤنا القرآن » . فبعث اليهم مصعب بن عمير رضى الله عنه .

٥ ـ ولما علم بالنجاح الكبير فى تبليغ سيدنا مصعب ، كتب اليه الى المدينة :

»أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم ، فاجمعوا نسائكم وأبناءكم . فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا الى الله بركعتين »

وزاد ابن سعد : » واخطب فيهم » .

وذكره السهيلى أيضا عن الدار قطنى .

فى أثناء سفر الهجرة :

لما خرج النبى عليه السلام من غار ثور ، وراح الى المدينة ، أعلن كفار قريش جائزة لمن يقبض عليه ، فلما مرّ ببلاد بنى مدلج أراد سيدهم سراقة بن مالك هذا العمل الشنيع ولكن رأى المعجزات

فامتنع وطلب العفو ، وأيضا كتاب أمـان لنفسه . والنبـى الأمى كان أخذ معه الدواة والقلم أيضا حتى أثناء سفره هذا ، فأمر ، فكتب له أبوبكر ، أو مولاه عامر بن فهيرة كتاب أمان ، كما ذكره ابن هشـام بين آخرين

وثائق لما بعـد الهجـرة :

ان عـدد الوثائق المكتوبة لهذه الفتـرة كثيـرة ، انتخبـت منها النماذج ، ولمن يريد الوقوف على كلها فليرجع الى تأليفى الحقير « الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الـراشدة » والنشرة الخامسة منها مع زيادات كثيرة سوف تصدر قريبا ـ

ألف) لما وصل خبر ورود النبى عليه السـلام الـى المدينة سالما ، كتب كفـار قريش الى الانصار أولا وطلبوا منهم اخـراج النبى عليه السـلام من بلادهم ، أوقتله ، وهددوهم بالهجوم عليهم ان لم يفعلوا شيئا منه ، فلمـا يئست قريش من هذه الجهة ، كتبوا الى يهود المدينة نفس الطلب . وبعـد زمن ، كتب كعب بن مالك رضى الله عنه ردا على قريش بشعـــره .

ب) النبى الذى هو أسـوة حسنة ، وجب عليه أن يُرِى المسلمين كيف يعملون فى مثل تلك الأحوال ، فاشتغل أولا بالمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأمـوالهم . فنجح فى حل تلك المسألة الصعبة فى طرفة عين بواسطة « المؤاخاة » ثم دعا ممثلى جميع سكان المـدينة ، سواء المسلميـن وغيـر المسلميـــن من اليهود ، والنصـــارى والمشركين ، واقترح عليهم تأسـيس دولة بلـدية خاصة للدفاع وقـت هجـوم الأعـداء ، والعـدل عنـد القضايـا

الداخلية لو كان الفريقان من قبيلتين مختلفتين . فقبلوا وانتخبوا رسول الله كرئيس تلک الدولة . (يقال ان أربع قبائل من الأوس امتنعوا منه ، وكأنهم النصارى تابعى أبى عامر الراهب). على كل حال ، من غرائب تقدير الله أن النبى الأمى لما نجح فى اقناع أهالى المدينة من تأسيس دولة بلدية لهم ، شاورهم وكتب حقوق الراعى والرعية وواجباتهم فى صحيفة وصل الينا نصها بتمامه ، وهو أول دستور مكتوب لدولة فى العالم وضعه رئيس دولة بعد موافقة الأهالى . ولم نجد شيئا من ذلک القبيل قبل الاسلام ، لافى يونان ، ولا رومة ، ولا الصين،ولا الهند ، ولا مصر أو غير هؤلاء . وسعدت بتخصيص تأليف خاص فى هذا الموضوع بالانكليزية .

The First Written — Constitution in the World.

طبع مرارا . وفى نفس الزمن أمر النبى عليه السلام بتخطيط حرم المدينة أى حدود هذه الدولة ، ويقول رافع بن خديج رضى الله عنه : « هو موجود عندنا فى أديم خولانى » (رواه مسلم بين آخرين) .

ج) لعل من هذا الزمن أيضا احصاء المسلمين ، فقد روى البخارى بين آخرين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اكتبوا لى من تلفظ بالاسلام من الناس » فكتبنا ألفا وخمسمائة رجل . » .

د ـ وبعد هذه التدابير الابتدائية الأساسية للدفاع عن دارالاسلام ، بدأ يغادر المدينة ويسافر الى بلاد القبائل

المجاورة واحدة بعد الأخرى ، يقترح عليهم حلفا عسكريا : لو هاجم عليكم أحد أعدائكم ننصركم ، ولو هاجم أحد علينا وطلبنا منكم تجيئون لنصرتنا ، الا في حروب الدين . فقبلت قبائل من شمال المدينة (مثل جهينة)، ومن جنوب المدينة (مثل ضمرة وغفار وأسلم) وكتبوا كتب الموادعة وصلت الينا نصوصها . ونقرأ في أحدى تلك المعاهدات :« ان لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم الا في الدين ». ولما تمّ هكذا تحديق المدينة بقبائل متحالفة . أمر أن لاتمر قوافل قريش في رحلاتها الشمالية الى العراق، وسوريا، وتركيا، ومصر.(وأكد ابن سعد أن قوافل قريش كانت تذهب أحيانا الى أنقرة). استصانت قريش بهذه الأوامر وأرادت أن تمر ببلاد المسلمين وحلفائهم رغم أنف المسلمين ، ومن ثم وقعت الحروب في بدر، ثم الخندق ، وأخيرا كانت هدنة الحديبية التي دونوها كتابة . وبعد قليل وقع فتح مكة واسلامها . وخطبة فتح مكة أيضا مكتوبة كما سنذكر فيما بعد .

هـ ــ بعد الحديبية ، كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبا الى الملوك المجاورين يدعوهم الى الاسلام ، مثل هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، والنجاشي ، وجيفر وعبد ابني الجلندى ملكي عمان ، والمنذر بن ساوى صاحب البحرين (وهو الاحساء والقطيف حاليا ، وليس جزيرة البحرين التي كانت تسمى حينذاك بأوال) .

وصلت الينا أصول هذه الستة من كتبه الى الملوك وبحثت فى صحة انتساب خمسة منها الى النبى صلى الله عليه وسلم فى تأليفى الفرنسى فى حياة النبى عليه السلام ، وأما مكتوبه عليه السلام الى ملكى عمان ، فقد عثرت عليه قبل عدة أسابيع فحسب . وسأنشر بحثا فيه عن قريب باذن الله تعالى .

و ـ ومن غرائب ماروى أنه صلى الله عليه وسلم كتب الى ذى الكلاع الأصفر، أحد ملوك الطوائف فى اليمن فأعتق أربعة الآلاف مملوك ، كما رواه ابن دريد فى الاشتقاق .

ز ـ ثم هناك مراسلات ومشاهدات مع اليهود ، وقبائل العرب فى مختلف أنحاء جزيره العرب وجنوبى العراق ، وجنوبى فلسطين . وكان يختمها عادة ، ولكن من غرائب ماذكر فيه انه لما صالح اكيدر صاحب دومة الجندل (وهو الجوف حاليا) ، ختمه بظفره ، ولما بحثت فى هذا الموضوع وجدت أن البابليين كانوا يعملون ذلك عادة ، وأن اكيدر كان أصله من العراق . وتوجد وثائق كثيرة قديمة من بابل ، نجد عليها علامة مثل الهلال مع الصراحة أنها امضاء فلان بظفره (٥) .

ح ـ هناك وثائق مراسلات النبى عليه السلام مع عماله فى مختلف انحاء البلاد مثلا الى عامله ضحاك بن سفيان يأمره أن يورث أمرأة أشيم الضبابى من دية زوجها المقتول .

ط ـ هناك وثائق اقطاعات الأراضى لمن استحقها ، وكذلك وثائق مكتوبة لشـراء العبيد أو لعتق العبيد ، ومن بينها فك فداء سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه .

ومن لطائف ماروى ابن حجـر عن أثيلة الخزاعـى رضى الله عنه ان النبى عليه السـلام كتب الى سهيل ابن عمـرو رضى الله عنه بعد فتح مكة :

«اذا جاءك كتابى ليلا فلا تصبحـن ، أو نهارا فلا تبيتن حتى تبعث الى بماء زمـزم » .

ولا باس بأن نشير الى أنه يوجد مكتوب النبى عليه السـلام الى بعض ملوك اليمن ، ونقل أهل اليمن بعيد الارسال اليهم الى المسند أى الخط الحميرى اليمنى وعثروا عليه أخيـرا ونشـره المستشـرق كوهن فى باريس ، وذكر انه محفوظ بمتحف لوفر هناك (٦) . وهو على رق قديم أصفر كما رأيته عنده . وهو يطابق النص المذكور فى كتب السيرة ، فالنص واحد ، ولكنه مكتوب بالخط العربى فى كتبنـا فى المسند على الرق الذى نحن بصدده . وأذكر أن هناك وثيقة بالخط العبرانى أيضا تقول ان النبى عليه السـلام كتبه لحنينا وأهل خيبر ومقنا ولذراريهم وعثـروا عليها فى مصـر وهو الآن فى كيمبرج من انكلترا ، ونشـرها هرشفلد المستشرق فى ١٩٠٣ م ولكن نصها يخالف تماما معاهدة مقنا المذكورة فى كتب السيرة ، ويظهر أن الوثيقة العـربية بالخط العبرانى من زمن متأخر .

ومعلوم أن بعض القبائل ارتدت فى أواخر حياة النبى عليه السلام . وتبعهم آخرون فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فعلى فراش الموت أرسل النبى عليه السـلام كتبا الى عماله فى اليمن يأمرهم أن

يحاربوهم ، وكتب كذلك الى نصارى نجران أن يساعدوا المسلمين في قمع هذه الفتنة . وأخيرا خطبة عام الفتح ، فتح مكة . وذكر البخارى أن أبا شاه رضى الله عنه طلب منه صلى الله عليه وسلم أن يستنسخ له هذه الخطبة . فأمر به .

ديــوان النبــى :

كان في ديوان النبى صلى الله عليه وسلم من المترجمين من كانوا يعرفون العبرانية والفارسية مثلا . وكذلك العمال لعديد الوظائف ، فقد ذكر المسعودى أن خالد بن سعيد بن العاص كان يكتب بين يديه فى سائر مايعرض من أموره . والمغيرة بن شعبة الثقفى ، والحصين بن نمير يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات . والزبير بن العوام وجهم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات (أى الزكاة) وحذيفة ابن اليمان يكتب خرص الحجاز . ومعيقيب بن أبى فاطمة الدوسى يكتب مغانم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وزيد بن ثابت الانصارى يكتب الى الملوك ويجيب بحضرة النبى عليه السلام وكان يترجم للنبى بالفارسية ، والرومية ، والقبطية والحبشية . وكان حنظلة بن الربيع يكتب بين يديه فى هذه الأمور ، اذا غاب من سائر الكتاب ينوب عنهم (٧) . ولاشك كان له كتاب لكتابة الوحى فور نزوله وتكثير نسخ قطعات القرآن الكريم . وذكر البخارى أن المتطوعين عند كل غزوة أو سرية كانوا يدونون أسماءهم فى دفاتر . وذكر وجود المخابرين فى بلاد العدو ، مثل مكة وخيبر ونجد وأوطاس قبل فتحها وكانوا يكتبون الأخبار سرا الى النبى عليه السلام حتى يعمل اللازم ويأخذ عدته ، ومعروف أنه اتخذ خاتما كان يختم به الكتب الرسمية .

تدوين الحديث على أيدي الصحابة في حياة النبي عليه السلام :

ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن الحاكم عن عائشة رضي الله عنها : "قالت جمع أبي (أبوبكر الصديق) الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت خمسمائة حديث . فبات ليلة يتقلب كثيرا قالت فغمني . فقلت : أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟ فلما أصبح قال أي بنية هلمي الاحاديث التي عندك . فجئته بها . فدعا بنار فحرقها . فقلت : لم أحرقتها ؟ قال : خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد أئتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك . فهذا لايصح (لايصلح ؟) » . كأن أبابكر الصديق كان قد ألف كتابا في الحديث على طلب ابنته أم المؤمنين عائشة وكان عندها حتى أتلفها . ولهذه الرواية أهمية خاصة ، فهناك روايات تقول ان النبي صلى الله عليه السلام نهى عن كتابة أي شيء الا القرآن . فلو كان كذالك لم يخف على أبي بكر ، ولم يدون أبدا كتابا لابنته ، ولم يتلفه ، لسبب ذكرته هذه الرواية ، بل صراحة لأن النبي عليه السلام منع منه . ومما يجدر بالذكر أنه لايوجد أي حديث صحيح يرفع الى النبي عليه السلام يمنع من كتابة الحديث الاحديث أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم ، وذكر ابن حجر في فتح الباري أن البخاري يرد هذا الاستناد ويقول : هو رأي أبي سعيد الخدري نسب لسهو أحد الى النبي عليه السلام . والرواية التالية تؤكد نفس الشيء ، أي لم يثبت نهي كتابة الحديث عنه صلى الله عليه وسلم . فنقرأ في جامع معمر (رقم ٢٠٤٨٤): عن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن ، فاستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فاشاروا عليه أن يكتبها . فطفق يستخير

الله فيها شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله (له) فقال : انى كنت أريد (أردت ؟) أن أكتب السنن وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا(٨)

وفيما يتعلق بسيدنا على رضى الله عنه ، نلفت النظر الى أمرين : أولا: أنه كانت عنده صحيفة ، ذكرها البخارى مرارا كان أخذها مما تركه النبى عليه السلام مربوطا على سيفه ، فأخذ سيدنا علي ذلك السيف بما عليه . وكان فى الصحيفة دستور الدولة البلدية المدينة ، وعدة كتب أخرى للنبى عليه السلام . وثانيا: أن سيدنا عليا أملى أحاديث النبى وسننه أثناء خلافته فدونها ناس من الحاضرين كتابة كما أكد ابن سعده (٩) .

ومن تدوين الصحابة ماذكره ابن عبدالبر (١٠) مع آخرين ، قال قال حسن بن عمرو بن أمية الضمرى „ تحدثت عند أبى هريرة بحديث ، فأنكر . فقلت : وانى قد سمعته منك . قال : ان كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى الى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ذلك الحديث . فقال : قد أخبرتك ان كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى . "

ذكر عديد من المصادر (ابن حنبل والترمذى وأبو داوٗد مثلا) أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما استاذن النبى عليه السلام فى كتابة ماسمع منه ، فأذن له ، فأراد للتأكد فقال : أكتب كل ما أسمع منك ؟ قال نعم قلت : فى الرضا والغضب ؟ قال : نعم فانى لا أقول فى ذلك كله الا الحق . وكان عبدالله بن عمرو سمى مجموعته هذه „ الصحيفة الصادقة » . ويقال ان فيها ألف مثل .

وأهم من هذا كله أنس بن مالك رضى الله عنه . وكان أبواه قد

أمـراه حـين الهجرة أن يخدم النبى عليـه السـلام فى بيتـه ، فلـم يفارقـه ليلا ولانهارا الى أن توفاه الله بعـد عشر سنـوات . وروى الحاكم وغيره عن سعـيد بن هلال ، قال : اذا أكثرنا على أنس بن مالك فأخـرج الينا مجالا عنده ، فقال :« هذه سمعتها من النبى عليه السـلام فكتبتها وعرضتها عليه » ـ فهو أصح كتب الحديث ، لأنه يؤكـد :« كتبتها وعرضتها على النبى صلى الله عليـه وسلـم » كى يصحـح لو أخطأ الكاتب .

هناك أمثلة كثيرة لكتابة الحديث فى عصـر النبى صلى الله عليه وسلم . وفى تحقيق معاصرنا للأستاذ محمد مصطفى الأعظمى لايقل عـدد الصحابة الذين دونوا الحـديث كتابة من خمسين صحابيا .

ليس فقط تدوين الحديث عامة ، بل بدأ التخصص أيضا فى حياته عليه السـلام . فمعلوم أن عمـرو بن حزم رضى الله عنه أرسله عليه السـلام عاملا الى اليمن وكتـب له وثيقة طويلة عهد فيها عهده ، فحفظ عمـرو بن حزم هذه الـوثيقة ولـم يتلفها ، ثم جمـع واحـدا وعشرين كتابا آخر كتبها النبى عليه السـلام ليهود بنى عـاديا وبنى عريض ، وتميم الـدارى ، وجـذام ، وجهينة ، وعلى ، وثقيف وغيرهم ، فضمها فى تأليف ، فكان أول مجموعة للوثائق السياسية للعهد النبوى

ووصل الينا فقـد رواها عنه أبو جعفر الديبلـى (الباكستانـى) من محـدثى القرن الثالث للهجرة ، ونقله ابن طولون ذيلا لتأليفه اعـلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (مخطوطة بيد المؤلف فى دمشق ، وقـد نشرت). واشتغل بنفس الموضوع أى كتب النبى عليه السـلام كاتب مجهول فى زمن يزيد بن حبيب المصـرى والزهرى ، ثم الهيثم بن عـدى والمـدائنى وهلم جرا الى عصـرنا هـذا . وفيهم ابن حجـر

العسقلانى فقال فى فتح البارى فى تفسير سورة آل عمران (آية قل يا أهل الكتاب تعالوا): « وقد جمعت كتبه عليه السلام الى الملوك وغيرهم ». ولكن لم نقف على مخطوطته الى الآن ، لعل الله يحدث بعد ذلک أمرا .

وأختم هذا البحث الوجيز بذكر مخطوطة مهمة محفوظة فى مكتبة شهيد على باشا باستنبول اسمها « كتاب السرد والفرد فى صحائف الأخبار ونسخها المنقولة عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه » وهو مجموعة عدة رسائل .

١ ـ صحيفة أبى هريرة لتلميذه همام بن منبه (وقد نشره هذا العاجز على أساس مخطوطات برلين ، ودمشق ومصر واستانبول تحت عنوان صحيفة همام بن منبه).

٢ ـ صحيفة كلثوم عن أبى هريرة رضى الله عنه

٣ ـ صحيفة عبدالرزاق عن أبى هريرة .

٤ ـ صحيفة حميد الطويل عن أنس بن مالک رضى الله عنه .

٥ ـ صحيفة من طريق أهل البيت .

٦ ـ صحيفة خضر والياس عليهما السلام .

٧ ـ الرباعيات صحيفة الأشج عن على

٨ ـ السباعيات صحيفة خراش عن أنس .

٩ ـ صحيفة عبدالرزاق عن عبدالله بن عمر

١٠ ـ صحيفة جويرية عن عبدالله ابن عمر .

فنرى من هذا البحث الوجيز أن تدوين الحديث والسنة لم ينتظر مئات السنين بل بدأ فى حياة النبى الأمى عليه السلام ، الذى أمر بعض أصحابه :« استعن بيمينک » ، وأملى رسائل كثيرة

للحاجات الادارية والتبليغية ، ثم تلاه صحابته ، وتحقق ماقال صلى الله عليه وسلم :« العلماء ورثة الأنبياء » . فوفقنا الله لما فيه رضاه .

المـــــراجـع

١ ـ البلاذري : أنساب الأشراف . مجلد أول ، ص ٣
٢ ـ راجعوا الى مجلة Islamic Culture الصادرة من حيدر آباد دكن ـ الهند ـ عدد اكتوبر ١٩٣٩ ، ص ٤٢٧ ـ ٤٣٩ وعنوان البحث هو : Some Arabic Inscriptions of Madinah of the Early Years of Hijrah (With Illustrations)
٣ ـ السهيلي : الروض الأنف ، ج ١ ، ص ٢١٤ ـ٢١٥ .
٤ ـ ابن هشام ، ص ٢٠٨ ، طبع اوربا .
٥ ـ انظر للمراجع في هذا الصدد الى ثبت المراجع الموجودة تحت الوثيقة ١٩٠ في كتابي الوثائق السياسية .
٦ ـ وهو الآن بالمكتبة الاهلية بباريس .
٧ ـ راجع التنبيه والاشراف .
٨ ـ رواه ايضا الخطيب البغدادي في تقييد العلم ، ص ٤٩
٩ ـ طبقات ابن سعد ، ج ٩ ص ١٥٤ طبع أوربا .
١٠ ـ جامع بيان العلم ، ج ١ ، ص ٧٤ـ